مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة -نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes

26

العدد

السادس

والعشرون

مارس2023م

تصنيف الرقم الدولي (ISSI/3781-2710)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

مقاومة قبائل الأوستراياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي (363م-643م)

إعداد: د. عياد مصطفى محمد اعبيليكة•

الملخص :

كان لأهمية موقع ليبيا وخصوبة تربتها وتنوع مواردها الطبيعية من أهم الأسباب التي جعلتها محل لأطماع الشعوب الأخرى منذ العصور القديمة، حيث توفد على أراضيها الفينيقيين والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيين، الذين أخذوا ينهبون خيراتها، ويوسعون سيطرتهم على أراضي القبائل الليبية، ويفرضون ضرائبهم الباهظة على سكانها، وعندما شعرت هذه القبائل بالخطر الذي يهدد وجودها وكرامتها ومصالحها الاقتصادية بدأت بشن غاراتها على مراكزهم العسكرية ومدنهم الحصينة، كما أنها خاضت العديد من المعارك ضدهم.

وكانت مقاومة قبائل الأوستراياني الليبية ضد البيزنطيين من أهم الملاحم الوطنية التي كان لها دوراً في إضعاف وجودهم في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي، حيث يعتبر العصر البيزنطي آخر العصور التاريخية في تاريخ ليبيا القديم، وحلقة الوصل بتاريخها الاسلامي، وقد وقع الاختيار على دراسة مقاومة قبائل الأوستراياني الليبية للوجود البيزنطي في الإقليمين لأن مقاومتها كانت مرتبطة ببعضها البعض من حيث الحظر والظلم الواقع عليها من البيزنطيين، ووحدة هدفها ومعركتها في القضاء على الوجود البيزنطي في الإقليمين، ولهذا يصعب فصل أو دراسة كل إقليم على حدة، وقد حددت الفترة الزمنية للدراسة من بداية مقاومة قبائل الأوستراياني للوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى سنة 363م، ثم أحداثها

• أستاذ مشارك بقسم التاريخ/ كلية الآداب – الخمس/ جامعة المرقب

وامتدادها في إقليم كيرينايكي إلى نهاية الوجود البيزنطي بعد الفتح الاسلامي الكامل لليبيا في سنة 643م.

Abstract:

The importance of Libya's location, the fertility of its soil, and the diversity of its natural resources were among the most important reasons that made it a place of interest for other peoples since ancient times, as the Phoenicians, Greeks, Romans, Vandals, and Byzantines flocked to its lands, who plundered its bounties, expanded their control over the lands of the Libyan tribes, and imposed exorbitant taxes on its inhabitants. When these tribes felt the danger threatening their existence, their dignity, and their economic interests, they began to launch raids on their military centers and fortified cities, and they fought many battles against them.

The resistance of the Libyan Ostriani tribes against the Byzantines was one of the most important national epics that had a role in weakening their presence in the regions of the Three Cities and Kyrenaiki, as the Byzantine era is considered the last historical era in the ancient history of Libya, and the link to its Islamic history. The choice was made to study the resistance of the Libyan Ostriani tribes. For the Byzantine

presence in the two regions because its resistance was linked to each other in terms of the prohibition and injustice imposed on it by the Byzantines, and the unity of its goal and its battle in eliminating the Byzantine presence in the two regions, For this reason, it is difficult to separate or study each region separately, and the time period for the study was determined from the beginning of the resistance of the Austrian tribes to the Byzantine presence in the Greater Leptis City in the year 363 AD, and then its events and extension in the Kyrenaiki region to the end of the Byzantine presence after the complete Islamic conquest of Libya in the year 643 AD.

المقدمة:

كانت مقاومة القبائل الليبية ضد البيزنطيين من أهم الملاحم الوطنية التي كان لها دوراً في إضعاف وجودهم في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي، وتعتبر السيطرة البيزنطية عليهما هي امتداد للسيطرة الرومانية، ويطلق عليها بعض الباحثين: الفترة الرومانية المتأخرة، بينما يرى بعض الباحثين: أن قيام الإمبراطور قسطنطين الأول بنقل عاصمة الامبراطورية من روما القديمة على ضفاف نهر التيبر إلى القسطنطينية التي قام ببنائها على شواطئ البوسفور في عام 330م هي المرحلة المبكرة لانطلاق العصر البيزنطي، وقد وقع الاختيار على هذه الدراسة البحثية؛ لأنها تعتبر حلقة الوصل بين تاريخ ليبيا القديم، وتاريخ ليبيا الإسلامي، كما أن مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي في الإقليمين مرتبطة ببعضها البعض من حيث الخطر، والظلم الواقع عليها من البيزنطيين، ووحدة هدفها

ومعركتها في القضاء على الوجود البيزنطي، وقد حددت الفترة الزمنية للدراسة منذ بداية مقاومة قبائل الاوستريايني للوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى سنة 363م، وامتدادها في إقليم كيرينايكي ومشاركتها في اتحاد لواته الذي استمر في المقاومة حتى نهاية الوجود البيزنطي بعد الفتح الإسلامي الكامل لليبيا في سنة 643م.

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة دوافع السيطرة الرومانية على الإقليمين، وكذلك التعرف على السياسة الاستيطانية الرومانية في الإقليمين، وإبراز أسباب مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي، والتعرف على القبائل الليبية التي قاومت الوجود البيزنطي، وإظهار مقاومة قبائل الاوستريايني للوجود البيزنطي ودورها في إضعافه في الإقليمين، والتعرف على موطن قبائل لواته، والمناطق التي استقرت فيها خلال العصر البيزنطي، وإظهار القبائل التي اتحدت معها لمقاومة الوجود البيزنطي، ولماذا سمي هذا الاتحاد باتحاد قبائل لواته، وإبراز أهم المعارك وأحداثها ونتائجها التي خاضتها قبائل لواته ضد البيزنطيين، وإظهار دور اتحاد قبائل لواته في إضعاف الوجود البيزنطي، وقد تم تقسيم البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: سياسة الاستيطان الروماني في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الاوستريايني للوجود البيزنطي في إقليم المدن الثلاث وكيرينايكي.

المبحث الثالث: مشاركة قبائل الاوستريايني في اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي بإقليم المدن الثلاث.

المبحث الأول: سياسة الاستيطان الروماني في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي.

سيطر الرومان على المدن الساحلية في ليبيا خلال القرن الأول قبل الميلاد، حيث أنهم سيطروا على المدن الإغريقية في إقليم كيرينايكي في عام 96 ق.م، تنفيذاً لوصية الملك بطليموس أبيون (Ptolemaus Apion) آخر ملوك البطالمة الذي أوصى فيها على انتقال ملكية الإقليم إلى الرومان بعد موته، واكتفى

مجلس الشيوخ الروماني في بداية السيطرة عليه بوضع يده على الأراضي الملكية البطلمية ومراقبة جني نبات السلفيوم، وجباية الضرائب[1].

كما أنهم سيطروا على المدن الثلاث الفينيقية عندما انتصر يوليوس قيصر (Yulius Caesar) على قادة جيوش بومبي (Pompeia) في معركة تابسوس (Tabsus)[2] التي وقعت في شمال أفريقيا عام 47 ق.م، وكانت من نتائجها المباشرة معاقبة مدينة لبدة الكبرى بسبب وقوفها إلى جانب أتباع بومبي، حيث زودتهم بالسلاح والرجال والمؤن، فأنزلها يوليوس قيصر من مرتبة مدينة حليفة لروما إلى مدينة خاضعة لروما مباشرة، ويرجح أن هذا العقاب شمل مدينتي أويا، وصبراته، لأتباعهما سياسية مدينة لبدة الكبرى[3].

ومن الملاحظ أن الرومان لم يضيعوا وقتاً طويلاً في وضع أيديهم على الأراضي الزراعية في المناطق المجاورة للمدن الثلاث بعد سيطرتهم عليها بصورة مباشرة، واعتبروها من أملاك الدولة الرومانية، وبذلك أجبرت القبائل الليبية على مغادرتها والاستقرار في الأراضي الفقيرة، والمناطق الشبه الصحراوية القليلة في مردودها الإنتاجي، ومع ذلك استمر الرومان في الزحف عليها وضمها بصفة

(1) عبد الكريم فضيل الميار، قورينائية (برقة) في العصر الروماني من عام 74ق.م إلى عام 117م، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1973، ص ص21-24.

(2) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط1، 1971، ص ص660-662.

(3) أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ط1، 1993م، ص ص61-62.

مستمرة وطرد الليبيين منها بالتدريج[1] عن طريق إصدار مجموعة من التشريعات للاستصلاح الزراعي[2].

كما أنهم أخذوا يتطلعون لبسط نفوذهم على المناطق الداخلية المشرفة على طرق القوافل التجارية التي كانت خاضعة لسلطة القبائل الليبية[3]، وقاموا بزرع بذور الفتنة بين القبائل الليبية عن طريق الاستيلاء على أراضي القبائل المعادية لهم ويمنحونها للقبائل الموالية لهم، دون مراعاة للحدود القائمة في السابق بين تلك القبائل، وقد عمل الامبراطور سبتيميوس سيفيروس (193–211م Septimius –Severus) بكل إمكانياته في توسع الاستيطان الزراعي الروماني، حيث استولى على أكبر قدر ممكن من الأراضي، وتمكن من خلال هذه السياسة توسيع أملاك روما على حساب سكان أراضي القبائل الليبية المناهضة للحكم الروماني، وقد أضر هذا الإجراء بكل القبائل الليبية الموجودة في المنطقة، كما أحاط الرومان هذه الأراضي المغتصبة بالعديد من التحصينات، وعملوا على الحد من حرية تلك القبائل، وتقييد تحركاتها بعد أن فرضوا عليها مساحات معينة من الأراضي تكون مسرحاً لتنقلاتهم[4].

([1]) المرجع نفسه، ص ص134–136.

([2]) محمد علي عيسى (الاستعمار الغربي في شكله الاقتصادي والثقافي المشهد المتكرر منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، ج1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011، ص111.

([3]) محمد علي عبد الرحمن أبوشحمة، المزارع المحصنة في المنطقة شبه الصحراوية بإقليم المدن الثلاث الليبية خلال العصر الروماني، منشورات جامعة مصراته، مصراته، ط1، 2019م، ص66.

([4]) محمد الطاهر الجراري (الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011، ص61.

كانت السياسة الرومانية تهدف إلى تأمين مدنهم ومستوطناتهم الزراعية التي أقاموها في المناطق الساحلية، والداخلية القريبة منها في الإقليمين من هجمات القبائل الليبية المعادية لوجودهم، وكان الغرض من ذلك حتى يشعر المستوطنون الرومان المقيمين فيها بالطمأنينة، التي تدفعهم إلى زيادة منتوجاتهم الزراعية، كما أنها شجعت التجار الرومان المستثمرين في المدن الساحلية إلى زيادة توسيع تجارتهم الداخلية، مما يعود عليهم بأرباح طائلة[1].

وقد استلزمت هذه الاستراتيجية إقامة ثلاث خطوط دفاع رئيسية وهي تشمل الحصون الكبيرة الخط الدفاعي الأول، والمزارع المحصنة الخط الدفاعي الثاني، والطرق الرئيسية المرتبطة ببعضها البعض بمحطات وطرق فرعية توجد عليها بعض الأبراج والحصون الصغيرة الخط الدفاعي الثالث[2].

وكانت هذه الخطوط تتواجد فيها حاميات مستقرة يقيم فيها أعداد كبيرة من الجنود الرومانيين، وتنقسم هذه الحاميات إلى ثلاث وهي حاميات المدن، وحاميات الوديان الواقعة على مشارف الصحراء، وحاميات الحدود الجنوبية التي يتراوح عمقها من خمسون إلى مائة كيلو متر[3]. واستخدم الرومان في بداية سيطرتهم على الإقليمين طرق القوافل للأغراض العسكرية والاقتصادية، ووضعوا على مسافات معينة منها العديد من المحطات لغرض راحة المسافرين، وتغير خيولهم فيها، كما أنهم قاموا بترميمها وإنشاء العديد من الطرق الجديدة، وعملوا على توفير الحماية اللازمة لها منذ وصول الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس.

وكان الاعتبار الأكبر للرومان يهدف للسيطرة على طرق الدخول إلى المراكز القبيلية الرئيسية في الواحات، ومراقبة الطرق ذات الأهمية الاقتصادية

([1]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص220.

([2]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص61.

([3]) موسى معمر زايد الريحاني، تاريخ النظم الدفاعية في ولايات شمال أفريقيا الرومانية 192 – 430م، جامعة المرقب، 2005، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ص 103 – 106.

ومصادر المياه، ولضمان نجاح هذه السياسة كان لابد من التقدم الدائم بخط الحدود إلى الدواخل، ولكن مع تزايد هجمات القبائل الليبية على المناطق الساحلية وفشل الخطوط الدفاعية الرومانية في إيقافها، فكان لابد من التخلي عن السياسة الدفاعية التي اتبعوها خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، والعمل على إرساء نظام دفاعي جديد في منطقة التخوم بإقليم المدن الثلاث[1]، يقوم على وضع مجموعات من الليبيين الذين أنهوا مدة خدمتهم في الجيش الروماني بمناطق التخوم، ومنحوهم قطعاً من الأرض معفاة من الضرائب، وبعض العبيد والماشية مقابل الدفاع عنها من هجمات القبائل الليبية المعادية للرومان المقيمة في جنوبها، ويرى بعض الباحثين: أن التخوم القائمة في جنوب غرب إقليم كيرينايكى تعود إلى القرن الأول الميلادي، وكان الغرض منها لحمايته من هجمات القبائل الليبية المستقرة في منطقة خليج سرت، وكان هؤلاء الجنود المزارعون من أهل التخوم يقيمون في مزارع محصنة منازلها مشيدة على هيئة أبراج عالية[2]. ويطلق على سكان منطقة التخوم أو الحدود اسم الليميتانى (Limitanei) وتعنى باللغة اللاتينية قوات حدود نظامية، بينما يطلق عليهم البعض الآخر من الباحثين: رجال القبائل المتواجدين داخل منطقة الحدود الخاضعين للسلطات الرومانية[3]، ولعل هذا يدل على مدى سيطرة السكان المحليين المستقرين في المنطقة الشبه الصحراوية على جيش الحدود لإقليم المدن الثلاث خلال القرن الرابع الميلادي[4]. وكان الغرض من ذلك تحويل هذه

([1]) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص ص 108-110.

([2]) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966، ص96.

([3]) ر.ج. جود تشايلد، دراسات ليبية، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار، أحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999، ص9.

([4]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص80.

المنطقة إلى حاجز دفاعي أمامي ذي أهمية استراتيجية في الدفاع عن المدن والمستوطنات الساحلية[1].

كما أن السلطات الرومانية التي أدركت عجزها في المحافظة على الأمن والسلام في مناطق الحدود، وعدم قدرتها على كبح جماح القبائل المحلية القاطنة خارج الحدود، فقامت بتغيير سياستها الدفاعية وتعاملها معها، فعقدت العديد من الاتفاقيات مع شيوخ القبائل والعشائر المحلية لضمان امتصاص غضبهم، وعدم شن غاراتهم على مراكزهم ومستوطناتهم الساحلية[2]، وقد أطلق الرومان على بعض القادة المحليين لقب تريبيون (Tribunus)، حيث أوضحت العديد من النقوش التي عثر عليها في بعض مناطق التخوم أسماء عدد كبير من الليبيين الذين تحصلوا على رتبة تريبيون[3]، وكانوا إلى جانب دورهم العسكري مسؤولين على الشؤون الدينية ومكلفون بالإدارة والقضاء بين سكان مناطقهم، ونستدل من ذلك أن هذه القبائل الليبية كانت تتمتع بحكم ذاتي في إدارة شؤونها الداخلية في ظل السيطرة الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي[4].

والسؤال الذي يطرح هنا هل تمكن الرومان من خلال الخطوط الدفاعية التي أقاموها في الإقليميين من إيقاف هجمات القبائل الليبية، وما دورها في توفير الأمن والاستقرار لسكان مدنهم الساحلية ومراكزهم الاستيطانية، وما موقف سكان منطقة التخوم المحليين (الليميتاني) من مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي في الإقليمين؟

وسوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال السرد والتحليل لمقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي.

([1]) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص159.

([2]) المرجع نفسه، ص174.

([3]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص96.

([4]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص79.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الاوسترياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي:

كانت من أهم الأسباب التي دفعت القبائل الليبية لمقاومة الوجود البيزنطي تتمثل في الاستيلاء على أراضي القبائل وإجبار سكانها على الاستقرار في المناطق الشبه الصحراوية وأقامت فيها مستوطنات زراعية رومانية[1]، بالإضافة إلى القسوة في جباية الضرائب الباهظة التي فرضها البيزنطيون على السكان المحليين مما جعلهم مع مرور الأيام يزدادون إرهاقاً منها وحقداً على حكمهم الجاير[2]، وكذلك الظلم والغدر البيزنطي الواقع على أبناء القبائل الليبية[3]، مما جعلها تقوم بشن العديد من الهجمات بشكل مستمر ضد السيطرة البيزنطية على مدن الساحل الليبي والمناطق المجاورة لها، وكانت قبائل الاوسترياني من أهم القبائل الليبية التي بادرت في مقاومة الوجود البيزنطي، ويعتقد بعض الباحثين: أن قبائل الاوسترياني وفدت من الصحراء الشرقية[4]، ويرى البعض الآخر: أنها من القبائل المقيمة في صحراء سرت الكبرى[5]، والرأي الأرجح: أنها كانت تقيم في صحراء سرت لكثرة تكرار هجماتها على إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي، وخاصة أن سرت تعتبر الحدود الفاصلة بينهما[6]، وقد انتهزت ضعف الحكم الروماني وعدم اهتمامه بمصالح

([1]) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص66.

([2]) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط1، 1971، ص ص 465-470.

([3]) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص108.

([4]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص 106-107

([5]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص78.

([6]) علي سالم لترك، مدينة توكرة، الدار العربية للكتاب، بنغازي، ط2، 1978، ص25.

السكان، فقامت بشن أول هجوم لها على مدينة لبدة الكبرى[1] في خريف عام 363م في زمن حكم جيوفانوس (363–364م– Jovianus)[2] بسبب مقتل أحد رؤسائهم يدعى ستاتشو (Stachao) على يد السلطات البيزنطية في إقليم المدن الثلاث[3] بعد أن وجهت له تهمة الخيانة والتآمر على مدينة لبدة الكبرى مع قبائل الاوسترياني عن طريق الدسائس السرية[4]، ويبدو أنه رفض العمالة مع البيزنطيين باعتبارهم مستعمرين للأراضي الليبية وتعاون مع قبيلته من أجل القضاء على وجودهم في مدينة لبدة الكبرى، وتمكنت قبائل الاوسترياني في هذا الهجوم بتدمير المناطق الخصبة المحيطة بها، وعسكروا بالقرب منها لمدة ثلاث أيام، حيث قتلوا أعداداً كبيرة من المستوطنين الرومان في المناطق الريفية، وحرقوا الأشياء والممتلكات التي يستطيعون نقلها معهم، وانسحبوا وهم محملون بالغنائم وأخذوا معهم أحد أشهر قادة الفرسان في المدينة بعد أن قبضوا عليه في إحدى الفيلات المشيدة في ضواحيها، وكانت مدينة لبدة الهدف الرئيس لقبائل الاوسترياني غير أن حصانة أسوارها منعتها من دخولها والسيطرة عليها[5].

وقد دفع خوف سكان المدينة من عودة هجوم هذه القبائل مرة أخرى عليهم فطلبوا المساعدة من رومانوس (Romanus) الذي اشترط عليهم أنه لا يستطيع مساعدتهم في منع هجمات قبائل الاوسترياني عليهم إلاَّ إذا أمده بكميات كبيرة من المؤن، وأربعة آلاف جمل[6].

([1]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص 106–107.

([2]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص162.

([3]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص107.

([4]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص162.

([5]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص162.

([6]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، 101.

ويرى بعض الباحثين: أن مطالب رومانوس تدل على مدى انتشار الفساد في حكام ولاية أفريقيا وموظفيهم الذين زاد ابتزازهم لسكان المدن الرومانية عن طريق أخذ المنح والرشاوي منهم[1]، وأن من أهم أسباب حدوث هذه المشاكل الخارجية والداخلية أن حاكم المدن الثلاث أصبح موظفاً مدنياً بدون قوات عسكرية تحت تصرفه لمواجهة الأخطار التي تهدد سكان هذه المدن والمناطق المجاورة لها، وخاصة من هجمات رجال قبائل الاوسترياني الذين استعملوا الجمال فيها مما أكسبهم السرعة في الهجوم والانسحاب، ويرجح أحد الباحثين: أن سبب طلب رومانوس من سكان مدينة لبدة لأربعة آلاف جمل يعود لإدراكه بأنه لا سبيل لمحاربتهم إلاَّ إذا كان يملك عددا كافياً من الجمال[2].

وكانت هذه المطالب غير متوقعة من مواطنين مدينة لبدة الكبرى الذين أعلنوا أنهم لا يستطيعون تقديمها إلى رومانوس، وخاصة بعد الخسائر التي لحقت بهم من هجمات قبائل الاوسترياني، وعندما أدركوا عدم جدوى الاعتماد عليه أرسلوا مبعوثين إلى الإمبراطور فالينثينان الأول (364-365م Valentinan)، وأخبروه بما حدث، وطلبوا منه الدعم، فكلف بالاديوس (Paladius) بالتحري عن هذه الأخبار ويعد تقريراً بالخصوص أثناء نقله مرتبات الجنود المستحقة في أفريقيا[3]، وبينما كان سكان لبدة الكبرى ينتظرون دعم الإمبراطور هاجمت قبائل الاوسترياني مدينة لبدة مرة أخرى[4] في صيف 365م، وأخذوا محاربيها ينهبون ويحرقون الممتلكات الرومانية، ويقتلون كل من يقف في طريقهم، وكان من بينهم العديد من

([1]) ب.هـ. ورمنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي، ت.عبدالحفيظ فضيل الميار، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط1، 1994، ص ص 22-23.

([2]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص109.

([3]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص109.

([4]) المرجع نفسه، ص ص 107-108.

القضاة والشخصيات البارزة[1]، كما أنهم قاموا بقطع أشجار الكروم[2] والنخيل في المناطق القريبة منها[3].

ويذكر بعض الباحثين: أن قبائل الاوستريانى تمكنت من محاصرة مدينة لبدة الكبرى لمدة ثمانية أيام[4] ثم انسحب مقاتلوها بعد فشل كل محاولاتهم في اقتحام أسوارها العالية[5].

ويرجح أن امتداد هجماتها وصل إلى مدينة صبراتة أيضاً، حيث تشير الدلائل الأثرية إلى أن عدداً من مباني المدينة دمرت في تلك الفترة، ويؤكد بعض الباحثين:- أن الليميتاني أصحاب المزارع المحصنة لم يتصدوا للمهاجمين الاوستريانيين أو يحاولوا التخفيف من حدة قوتهم وهم في طريقهم إلى المدن الثلاث بل يعتقد بعض الباحثين:- أن الليميتاني سهلوا مهمة المهاجمين في عبور الخطوط الدفاعية مما جعلهم يلقون بكامل ثقلهم على هذه المدن وريفها[6]. ويعلل أحد الباحثين: أن أصحاب المزارع المحصنة ضمنوا أمنهم وسلامتهم من هذه القبائل المغيرة على المدن والمراكز البيزنطية، ولهذا ظلّوا بعيدين عن أحداثها[7]. بينما يعلل البعض الآخر من الباحثين سبب ذلك: أن عدم فاعلية الحدود يرجع إلى وجود تحالفات بين القبائل المهاجمة وسكان الحدود (الليميتاني) الذين لم يكلفوا أنفسهم حتى مهمة تبليغ الحاميات البيزنطية الواقعة شمالهم عند اقتراب التجمعات القبلية المهاجمة التي تمر عبر أراضيهم وبين تحصيناتهم قبل وصولها إلى المنطقة

(1) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص ص 442-443.

(2) ر.ج. جودتشايلد، مرجع سابق، ص162.

(3) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص108.

(4) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

(5) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص70.

(6) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص108-109.

(7) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص443.

الساحلية[1]، ويبدو أن السبب الحقيقي في ذلك: أن أصحاب هذه المزارع المحصنة من الليبيين الذين تربطهم بقبائل الاوسترياني ربطة الدم ووحدة الهدف في القضاء على الوجود البيزنطي الذي انتزع أراضيهم الخصبة وطردهم بعيداً عنها مما جعلهم يساعدون ويسهلون عبور هذه القبائل للخطوط الدفاعية البيزنطية حتى تمكنت من الوصول إلى أهدافها بسرعة غير متوقعة من البيزنطيين.

وقد حاولت السلطات الرومانية إعادة الترتيبات الأمنية الأهلية فأصدرت في سنة 409م قانوناً تنذر فيه مزارعي المناطق الحدودية بأنها ستأخذ مزارعهم إذا هم رفضوا القيام بمهام الدفاع عن الحدود ومحاربة القبائل المهاجمة، ولما لم تتمكن من تنفيذ ذلك أصدرت قانوناً آخر سنة 423م تهدد فيه بالقتل لكل مالك مزرعة محصنة يرفض مشاركة شخص آخر في مزرعته مع من ليست لديهم مزارع محصنة، ويهدف هذا القانون الأخير لإدخال عناصر موالية للسلطة الرومانية داخل التجمعات الأهلية الداخلية لإحراجهم والاطلاع على مواقفهم من القبائل المهاجمة، وبالتالي إرغامهم على محاربتها[2].

ومن المؤكد أن هذه الهجمات المتكررة من قبائل الاوسترياني كان لها أكبر الأثر في تدهور اقتصاد المدن الثلاث الساحلية[3]، والذي يعد من العوامل المباشرة في إضعاف الوجود البيزنطي بها[4].

كما تعرضت مدن إقليم كيرينايكي للعديد من هجمات قبائل الاوسترياني منذ عام 390م، ولقيت مدينة كيريني بصفة خاصة أشد الغارات من قبل هذه

([1]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص73.

([2]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص ص72-73.

([3]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

([4]) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص110.

القبائل[1]، فقامت بمحاصرتها وحرق محاصيلها وتخريب حقولها[2]، بالإضافة إلى الاستيلاء على قطعان كبيرة من الخيول والجمال[3]، وأسر العديد من المستوطنين البيزنطيين، ولم تكن القوات العسكرية البيزنطية في الإقليم على درجة عالية من الكفاءة تمكنها من التصدي لهذه الهجمات[4]، ويرى بعض الباحثين: أن هجوم قبائل الاوستريانى كان شاملاً وعنيفاً على المدن الإغريقية الواقعة تحت السيطرة البيزنطية، ولهذا لم يقابل بأية قوة نظامية تذكر[5]، ويؤكد سونسيوس القورينائي (Synesius Cyrene)[6] ذلك عندما يقول: إن كريالس (Cerealis) الحاكم العسكري في الإقليم كان ضعيفاً لا يفهم شيئاً في أمور الحرب، فقام بتجريد الجيش واختلس أجور المجندين المحليين، وكان عندما تهاجم هذه القبائل مدن الإقليم يقوم بوضع أمواله وذهبه في سفينتين ويبحر بهما، ويظل يجوب الساحل بعد أن ينصح جنوده بالبقاء داخل الأسوار، ولا يقاتلون هذه القبائل لأنها لا تقهر[7]. وبعد أن يأس

([1]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

([2]) سونسيوس القورينائي، تاريخ الفلسفة في ليبيا، ت عبد الرحمن بدوي، دار صادر، بيروت، 1971، ص ص195-196.

([3]) Jones.A.H.M, (Frontier Defence in Byzantine Libya), L.H Historical conference 16-23 march 1968, p290.

([4]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

([5]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص71.

([6]) سونسيوس القورينائي: ولد في مدينة قوريني سنة 370م، وأمضى طفولته في مسقط رأسه، وتعلم فيها ثم رحل إلى الاسكندرية لاستكمال تعليمه بها، ثم رجع إلى كيريني لمزاولة حرفة الزراعة والصيد، وانخراط في جيش المدينة، وعين أسقفاً لمدينة بطوليمايس وله العديد من المؤلفات، أندريه لاروند، برقة في العصر الهليسنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2002، ص322.

([7]) سونسيوس القورينائي، مرجع سابق، ص ص198-203.

يأس سونسيوس من تصدي القوات البيزنطية لهذه القبائل قام بتنظيم الدفاع عن مدينة كيريني وأراضيها الزراعية[1]، وكانت تضم هذه التنظيمات تجمعات من كبار الملاك[2]، وأغنياء الريف المتطوعين[3]، المتسلحين بالرماح والسيوف والفؤوس والهراوات لمقاومة هذه القبائل[4]، كما تم وضع مجموعة من الحراس المتطوعين في في أبراج القلاع، والحصون لإنذار المناطق المهددة عند اقتراب هذه القبائل منها عن طريق تبادل إشارات من المشاعل المضيئة، والتي تنتقل من حصن إلى حصن حتى تصل إلى القوات البيزنطية فستعد لأبعاد خطرها عن هذه المناطق[5].

وقد قام القائد العسكري أنوسيوس (Anysius) الذي عين على إقليم كيرينايكي في حوالي عام 410م، بتنظيم الجنود البيزنطيين، وكون منهم فرقة تتكون من أربعين مقاتلاً، وقادهم في معركة ضد قبائل الاوسترياني، واستطاع الانتصار عليهم وقتل منهم أكثر من ألف رجل[6]، ومن المرجح أن هذه المعركة مبالغ فيه؛ لأن هذه القوة الصغيرة لا تستطيع قتل هذا العدد الكبير من مقاتلي قبائل الاوسترياني وخاصة أن هذه القبائل عرفت عند المؤرخين البيزنطيين بأنها قبائل لا تقهر، كما أنها استمرت في مهاجمة ومحاصرة مدن كيرينايكي بعد هذه المعركة.

ويرى بعض الباحثين: أن السياسة البيزنطية تهدف إلى بقاء قواتهم داخل مدن كيرينايكي، وعدم خروجها لمواجهة قبائل الاوسترياني، ولعل السبب في ذلك أن القوات النظامية البيزنطية الموجودة فيها كانت قليلة العدد، وإمداداتها محدودة، كما أنها لا تستطيع ملاحقة قبائل الاوسترياني في المناطق الزراعية، والريفية نظراً

([1]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

([2]) علي لترك، مرجع سابق، ص25.

([3]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

([4]) Jones.A.H.M,ob.cit,p.290.

([5]) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102-103.

([6]) سونسيوس القورينائي، مرجع سابق، ص330.

للمخاطر التي تهدد جنودها الذين ليس لهم معرفة بطبيعتها الجغرافية، والمتمثلة في الجبال والوديان والأشجار الكثيفة والتي يصعب على البيزنطيين اختراقها؛ لأنهم لا يعرفون شيئاً عنها، بعكس مقاتلين القبائل الليبية الذين يعرفون مسالكها الوعرة، ويستطيعون التغلغل من خلالها دون أن يراهم أحد حتى يصلون إلى أهدافهم ويقومون بترميمها ثم الرجوع إلى تمركزاتهم القبيلة بكل سهولة وأمان، وهذا ما جعل بعض الباحثين يرون: أن البيزنطيين كانوا معذورين في اتخاذ قرار البقاء في المدن، وترك مسألة الدفاع عن المناطق الزراعية إلى المتطوعين من الملاك البيزنطيين والكبار والصغار[1].

وقد استمر أنوسيوس حاكماً عسكرياً على الإقليم لمدة عام ثم استدعى إلى القسطنطينية، وخلفه في الحكم انوكينتيوس (Inocentius) وكان شيخاً مريضاً عاجزاً على التصدي لقبائل الاوستريانى، فعادت إلى مهاجمة مدن كيرينايكي فخربوا الحقول والقرى، وأسروا الرجال والنساء والأطفال ونهبوا المتاجر والأموال وحملوها على خمسة آلاف بعير بعد أن استولوا على سائر الإقليم، وحاصروا العاصمة بطوليمايس نفسها[2].

وحاول البيزنطيون معالجة هجمات قبائل الاوستريانى المتكررة، والمفاجئة لحامياتهم الدفاعية عن المدن الساحلية، فاضطرت السلطة الرومانية في النهاية إلى فرض حصار على الأهالي في المدن ومنعهم من الاتصال بأهالي الدواخل، ولعل ما يؤكد ذلك فقد عثر في مدينة بطوليمايس على نقش يوضح التنظيمات العسكرية البيزنطية لمنطقة مدن كيرينايكي في زمن الامبراطور اناستاسيوس (491-518م Anastosius-) وفيه تحرم السلطة البيزنطية على الأهالي المقيمين في المدن الاتصال بسكان الدواخل سواء لغرض التجارة أو غيرها، ويرى بعض الباحثين: أن هذا القانون إذ نجح في منع ذهاب أهالي الساحل إلى الجنوب فإنه لم يكن له دوراً

(1) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص406.

(2) سونسيوس القورينائي، مرجع سابق، ص332.

فعال في منع التحالفات الداخلية من الوصول إلى الشمال، ومهاجمة المراكز البيزنطية على الساحل الليبي، ولعل ما يؤكد ذلك: قيام قبيلة المازيكس بهجوم واسع في سنة 510م على غالبية المدن الساحلية، وألحقت بها الكثير من الضرر[1].

المبحث الثالث: مشاركة قبائل الأوستريانى في اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي بإقليم المدن الثلاث:

أدت مقاومة القبائل الليبية إلى انحصار الوجود البيزنطي في داخل أسوار المدن الساحلية، وتقهقر قوتهم العسكرية طوال القرنين الخامس والسادس الميلاديين مع بعض التغيرات المكانية المحدودة للبيزنطيين في بعض الأحيان، والشيء الوحيد الذي حدث هو انتقال الزعامة الوطنية من قبيلة الاوستريانى إلى قبيلة لواته التي أصبحت القوة الحقيقية في المنطقة[2].

كانت الهجمات المتكررة لقبيلتي الاوستريانى، ولواته سبباً في إضعاف وجودهم العسكري في الإقليمين مما مكن الوندال من السيطرة على إقليم المدن الثلاث بعد ما وقعت مدينة لبدة الكبرى في أيديهم بكل سهولة في سنة 455م[3]، واستمرت سيطرتها عليه حتى قيام ثورة ضدهم بقيادة أحد القادة الوطنيين يدعى بدنتيوس (Pudentus)، وعندما وصلت أنباءها إلى الإمبراطور جستنيان (527-567م - Justinian) قام بإرسال قوة عسكرية صغيرة تحت قيادة تاتيموت (Tatimutt)، لمساندة هذه الثورة التي استطاعت تحرير المدن الثلاث من السيطرة الوندالية بكل سهولة[4]، ووقعوها تحت السيطرة البيزنطية سنة 533م[1]، ويرى

([1]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص73.

([2]) المرجع نفسه، ص ص73-74.

([3]) ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ت. محمد الطاهر الجراري – محمد عبد الهادي حيدر، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009م، ص221.

([4]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص ص467-468.

بعض الباحثين: أن الفوضى وانتشار أعمال العنف التي سادت الإقليم خلال العصر الوندالي بعد انهيار النظام الروماني الذي كان سائداً في ذلك الوقت أدت إلى إحياء السكان الوطنيين للنظام القبلي، الذي اعتادت عليه القبائل الليبية قبل السيطرة الرومانية[2].

كانت عودة البيزنطيون إلى إقليم المدن الثلاث لم ترض القبائل الليبية التي كانت لها دور كبير في تحريره من الوندال، ولهذا قاوموا الوجود البيزنطي منذ بداية السيطرة عليه، حيث تمكنوا من محاصرة القائد البيزنطي تاتيموت وجنوده داخل مدينة لبدة الكبرى، وكادوا أن يتغلبوا عليهم، لولا الفرقة العسكرية التي قدمت من قرطاجة بقيادة بليزاريوس (Belizarius) التي تمكنت من فك الحصار عليهم[3]، وقد اتبع البيزنطيون في فترة حكم الإمبراطور جستنيان الأول سياسة تهدف إلى إعادة وحدة الإمبراطورية وإحياء ماضيها وتراثها القديم[4]، ولهذا اهتم الإمبراطور جستنيان بتحصين المدن في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي، ولعل ما يؤكد ذلك قول بروكوبيوس: إن الإمبراطور جستنيان بنى السور المحيط بمدينة لبدة من أسسه[5]، الذي دمره الوندال أثناء سيطرتهم عليها[6]، ويرى بعض الباحثين: أن السبب الذي جعل الإمبراطور جستنيان يضيق دائرة أسوارها يرجع إلى زحف الرمال وتغطيتها لجزء منها[7].

([1]) ماتينغلى، مرجع سابق، ص421.

([2]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص446.

([3]) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، ج8، القسم الأول، دار الكتاب، بيروت، 1972م، ص26.

([4]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص467.

([5]) Procopius, VII, Buidings, Translation By: H. B. Dewing, L.C.L, William Heineman Ltd London, 1971, VI 10-18.

([6]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص446.

([7]) Jones. A. H. M, ob. Cit, P. 297.

كما أنه قام بتحصين مدينة يوسبيريدس (برنيقي) وفي هذا الإطار يقول بروكوبيوس: "إن الإمبراطور أعاد بناء سور برنيقي من أساساته السفلى"، وكذلك مدينة توخيرا حيث يقول بروكوبيوس: إن الإمبراطور أحاط مدينة توخيرا بتحصينات قوية جداً[1]، ويذكر بعض الباحثين: إن معظم أسوار مدن إقليم كرينايكي سقطت بسبب الزلزال الذي ضربها في عام 365م[2]، ونستدل مما سبق قيام البيزنطيون ببنائها، وأصبح الوجود البيزنطي محصور داخل أسوار المدن الساحلية في الإقليمين، وأن المناطق الداخلية والمجاورة لها أصبحت تحت سيطرة القبائل الليبية خلال هذه الفترة التاريخية، وقد زاد العداء بين البيزنطيين والقبائل الليبية بسبب اتباع البيزنطيين سياسة قاسية وصارمة ضد السكان المحليين، وخاصة في جباية الضرائب الباهظة التي فرضها الإمبراطور جستنيان الأول[3]، والاستيلاء على بعض الأراضي الزراعية التي وزعها الوندال على زعماء القبائل الليبية بكل عنف وقسوة، وأخذوا يطاردون ملاّكها السابقين وينكلون بهم[4]، وبالإضافة إلى ذلك أن البيزنطيين منعوا اعتناق المذهب الآريوسي[5] وأخذوا بملاحقة واضطهاد أصحابه[6]،

([1]) Procopius, VII, Buildings, VI, II. 2. 13.

([2]) ر.ج. جودتشايلد، مرجع سابق، ص ص 369-370.

([3]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص469.

([4]) محمد بازامة، مرجع سابق، ص ص24-28.

([5]) الآريوسي: يرجع اعتناق هذا المذهب إلى آريوس أحد قساوسة الإسكندرية من أصل ليبي ولد في سنة 256م، تعلم في انطاكية على يد معلمة لوقياس ثم انخرط في سلك الكهنوت، وسرعان ما صاغ آراء مستقلة عن الديانة المسيحية يعتقد فيها وجود الأب (الله) قبل الابن (المسيح)، وأن الابن مخلوق من الأب فهو إذا دونه ولا يعادله في المستوى والقدرة، وتختلف هذه الآراء عن المذهب الأورثوذكسي، ليلى عبدالجواد اسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص ص42-43، سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط10، 1985، ص ص39-40.

أصحابه[1]، وكذلك اتباع المذهب الدوناتي[2] الذين يعتبرون هراطقة خارجين عن القانون في نظر الكنيسة الكاثوليكية، ولكن عندما سيطر الوندال على إقليم المدن الثلاث سمحوا لهم بممارسة شعائرهم العقائدية، واعادوا لهم حقوقهم وممتلكاتهم[3]، وقد استطاع البيزنطيون القضاء نهائياً على أتباع هذين المذهبين بعد فرضهم المذهب الأرثوذكسي على سكان شمال أفريقيا، وصار الإمبراطور هو المشرف المطلق على الكنيسة[4]، وعلاوة على ذلك اعتبر الإمبراطور جستنيان كافة الأراضي الزراعية من أملاكه الخاصة[5]، ولهذا حاول البيزنطيون مد نفوذهم خارج تمركزاتهم الساحلية[6]، وكذلك قيام الجنود البيزنطيون بالاعتداء على أراضي القبائل القبائل الليبية[7].

كانت من أهم أسباب قيام اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي في زمن سرجيوس باكوس (sergius Bakus) حاكم إقليم المدن الثلاث[8]، قيام حرسه بقتل وجهاء لواته في مقر حكمه بمدينة لبدة الكبرى الذين كانوا يشكون من قيام جنوده بسرقة المحاصيل الزراعية لقبيلته، والاعتداء على أراضيها، حيث يذكر بعض الباحثين:

([1]) فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م)، المكتبة العلمية الحديثة، المنصورة، 2000م، ص79.

([2]) المذهب الدوناتي: سمي بهذا الاسم نسبة إلى زعيمه دوناتوس، وهو يخالف المذهب الكاثوليكي، ولكنه في ذات الوقت كان يعبر عن الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على سكان إقليم المدن الثلاث، أحمد انديشة، مرجع سابق، ص104.

([3]) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص445.

([4]) المرجع نفسه، ص459.

([5]) فايز اسكندر، مرجع سابق، 79.

([6]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص74. ص74.

([7]) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص204.

([8]) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص469.

أن عدد وجهاء لواته كان ثمانين رجلاً، وقد قتلوا كلهم ما عدا رجل واحد منهم استطاع الفرار من الحرس، ونقل ما جرى لأبناء قبيلته الذين أخذوا أسلحتهم استعداداً لمواجهة البيزنطيين[1]، وأعلنت قبيلة لواته الثورة ضد الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى، والتي امتدت من حدود مصر شرقاً[2] حتى منطقة بيزاكيوم (Byzacium) غرباً[3]، وقد انضمت إلى هذه الثورة العديد من القبائل الليبية في أكبر تحالف أطلق عليه اتحاد لواته؛ لأن قبيلة لواته هي الأقوى[4]، وكانت من أهم القبائل التي انضمت إلى هذا التحالف قبائل الاوسترياني، وهذا ما أكده فلافيوس كوريبوس عندما يقول: تجمعت قبائل لواته التي لم تهزم أبداً في ألوفاً لا حصر لها...، وملأت قلوب العالم كله بالرعب، وهي تزحف للأمام بسرعة، وتبعتها قبائل الأوسترياني، وأطلقت العنان لخيولها، وهي واثقة في قوتها، في أعداد لا حصر لها، وهذه القبائل معروفة بشجاعتها في الحرب، كما أنها معروفة بشدة حذرها، وأن المحارب من قبائل الاوسترياني يتمزق شوقاً للدخول في معركة غير مأمونة على السهول المكشوفة ...، ويقيم أسواراً ويحفر خنادق، ثم يضع مختلف قطعان الماشية وسط حلقة على أمل أن يوقع الأعداء في شراك هذه الحواجز، ويسحقهم في غمرة الاضطراب الذي يسود صفوفهم[5].

([1]) علي فهمي خشيم، قراءات ليبية عن الأرض والناس والأبطال والأساطير في ليبيا القديمة، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط2، 2000م، ص ص193-195.

([2]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص75. ص75.

([3]) فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ت: محمد الطاهر الجراري، الجراري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م، ص133.

([4]) ماتينغلي، مرجع سابق، ص ص426-427.

([5]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص48-49.

بالإضافة إلى ذلك قبائل النسامونيس والمكاي والجيتول والبسيلي[1]، والميكاليس[2]، والجرمنتين[3]، ومارماريكا وباركي[4]، وكان يتم اختيار رئيساً لهذا الاتحاد يتولى قيادة الجيش في معاركه ضد البيزنطيين[5]، ونستدل من مشاركة معظم القبائل الليبية على اللحمة الوطنية في مقاومة الغزاة البيزنطيين، وقد خاضت القبائل الليبية المتحالفة العديد من المعارك في منطقة بيزاكيوم، في هذا الإطار يقول فلافيوس: وبدأ العدو يتجمع في صفوف متماسكة من الجبال، ويتدفق على جميع الحقول من جميع الممرات، وكانت بينهم قبائل الأوستريانى وموتونيان (Mutunian) تزحف على ظهور الخيل بأسلحتها التي لا تقهر[6]، ويقول أيضاً: كانت قبائل الاوستريانى تعمل القتل في سكان الريف بأسلحتها المميتة، وتستولي على جزء من بيزنطة مع نصيبها الثاني من الغنائم[7].

وكانت معركة سيلليوم (Cillium – القصرين حالياً) التي قتل فيها سليمان (Selemen)[8] قائد القوات البيزنطية في سنة 544م من أهم المعارك التي انتصر انتصر فيها تحالف اتحاد لواته ضد البيزنطيين في هذه الثورة، وقد عمت الفوضى جيوش البيزنطيين، وأخذوا ينسحبون حتى دخلوا أسوار مدنهم، وقامت القبائل الليبية المتحالفة بتجميع الغنائم من ميدان المعركة، ثم زحفت على معظم المراكز والمساكن البيزنطية، وأخذت العديد من الأسرى، ولعل ما يؤكد ذلك قول فلافيوس

([1]) ماتينغلي، مرجع سابق، ص ص426–427.

([2]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص79.

([3]) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص470.

([4]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص50.

([5]) ماتينغلي، مرجع سابق، ص504.

([6]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص54.

([7]) المصدر نفسه، ص166.

([8]) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص75. ص75.

كوريبوس: علينا الآن أن نبعث بسفراء إلى ذلك الطاغية...، يحملون عهد السلام، وعلى هؤلاء الرسل أن يستعيدوا الأسرى، وأن يطلبوا من الطاغية الأوستريانى الرحيل عن أراضينا مع قبائل لواته المتوحشة[1].

ونستدل من هذا الكلام أن قائد اتحاد قبائل لواته كان من قبيلة الأوستريانى، ولهذا طلب منه الشاعر فلافيوس إطلاق الأسرى البيزنطيين، والرحيل من أرض المعركة، وإحلال السلام بينهم، كما أنه يدل على القوة القتالية لقبيلتي الأوستريانى ولواته.

وظلت هذه الثورة مستمرة، ولم يتمكن القادة البيزنطيين من القضاء عليها[2] عليها[2] فاضطر الإمبراطور حستنيان (Justian– 527–567) بإرسال حملة عسكرية بقيادة يوحنا تروجليتا (John Troglita) الخبير في حروب الصحراء[3] الذي خاض العديد من المعارك مع التحالف اللواتي تقلب فيها النصر بين الطرفين حتى تمكنت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا[4] في أوائل سنة 548م[5]، من هزيمة القوات الليبية المتحالفة بعد مقتل كاركسان (Carcasan) قائد اتحاد لواته في حقول كاتو (cato)[6].

وكانت نهاية الوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي بالفتح الإسلامي لهما، حيث يذكر أن عمر بن العاص تمكن من هزيمة البيزنطيين في

([1]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص57–58.

([2]) شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الفتح الإسلامي 647م، ت. محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، 1978، ص370.

([3]) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص470.

([4]) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص131–136.

([5]) شارل جوليان، مرجع سابق، ص371.

([6]) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص47.

إقليم كيرينايكي في سنة 21هـ أي ما يوافق 642م تقريباً[1]، وفي هذا السياق يقول البلاذري "حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن عبد الله بن هبيرة قال: لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة وهي مدينة انطابلس فصالح أهلها على الجزية، وهي ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه"[2].

أما في إقليم المدن الثلاث فقد استمرت قبائل لواته في سيطرتها على جميع الأراضي المجاورة لهذه المدن وقد تسبب ذلك في تدهور الاقتصاد البيزنطي، وخاصة في مدينة لبدة الكبرى، الذي أدى إلى القضاء على الحياة العامة فيها[3]، ولعل ما يؤكد ذلك عدم ذكرها أثناء الفتح الإسلامي للإقليم في سنة 643م؛ لأنها لم تكن آهلة بالسكان[4]، وفي هذا الإطار يقول البلاذري: "حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن طلحة قال: سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرون فقوتل ثم افتتحها عنوة[5].

النتائج التي توصلت لها الدراسة البحثية لمقاومة قبائل الأوستراياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيرينايكي (363م-643م):

أجبرت السياسة الرومانية التوسعية للاستيطان الزراعي القبائل الليبية على ترك أراضيها الخصبة والاستقرار في الأراضي الفقيرة، والمناطق الشبه صحراوية القليلة في مردودها الإنتاجي.

(1) محمد بازامة، مرجع سابق، ص ص98 – 99.

(2) أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1983م، ص221.

(3) ماتينغلي، مرجع سابق، ص447.

(4) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص473.

(5) أبو الحسن البلاذري، مصدر سابق، ص223.

فشل الخطوط الدفاعية الرومانية في إيقاف هجمات القبائل الليبية على مراكزهم الاستيطانية ومدنهم الساحلية في الإقليمين.

أدت الهجمات المتكررة لقبائل الاوستریاني على المدن الساحلية الواقعة تحت السيطرة البيزنطية في الإقليمين إلى تدهور الوضع الاقتصادي لهذه المدن، كما أنها قلصت الوجود البيزنطي حتى صار محصوراً داخل الأسوار العالية المشيدة حول المدن.

تدهور أوضاع مدينة لبدة الاقتصادية بعد سيطرة قبائل لواته في أواخر القرن الثالث الميلادي على المنطقة الوسطى بين هذه المدينة والجنوب، مما أدى إلى انقطاع التجارة عنها التي تعتبر الدعامة الأولى لاقتصادها، كما أنها هددت إمدادات روما من القمح وبعض السلع الأخرى المهمة التي كانت تأتيها من أفريقيا.

كانت الضرائب الباهظة المفروضة على القبائل الليبية، والاعتداء على أراضيها الزراعية من قبل البيزنطيين، والمذبحة التي تعرض لها وجهاء قبائل لواته في مدينة لبدة الكبرى على يد الحرس البيزنطي بها من أهم الأسباب لقيام ثورة القبائل الليبية ضد الوجود البيزنطي.

انضمت قبائل الأوستریاني ومعظم القبائل الليبية مع قبائل لواته في أكبر اتحاد قبلي ضد الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى بصفة خاصة، وامتداده فيما بعد إلى شمال أفريقيا بصفة عامة.

مشاركة معظم القبائل الليبية في هذه الثورة ضد الوجود البيزنطي يدل على وجود اللحمة الوطنية بينها، وحب الليبيون للحرية وكرههم للغزو والظلم والعدوان الواقع عليهم من البيزنطيين، كما يؤكد أيضاً الانتماء والوحدة الوطنية عند الليبيين منذ التاريخ القديم.

كان لاتحاد قبائل لواته قوة قتالية كبيرة، حيث تمكن من هزيمة البيزنطيين في العديد من المعارك والاشتباكات وقتل معظم القادة الميدانيين، وأعداد كبيرة من الجنود البيزنطيين، وخاصة في المراحل الأولى لهذه الحرب.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

المصادر العربية:

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، مدينة ليدن، المحروسة، 1920.

المصادر الكلاسيكية:

Procopius, VII, Buildings, Translation By: H. B. Dewing, L. C. L, William Heineman Ltd London, 1971.

المصادر المعربة:

فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ت. محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988.

ثانياً: المراجع:

المراجع العربية:

إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط1، 1971.

أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1993م.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط10، 1985.

عبد الكريم فضيل الميار، قورنيائية (برقة) في العصر الروماني من عام 74ق.م إلى عام 117م، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1973.

عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط1، 1971.

علي سالم لترك، مدينة توكرة، الدار العربية للكتاب، بنغازي، ط2، 1978.

علي فهمي خشيم، قراءات ليبية عن الأرض والناس والأبطال والأساطير في ليبيا القديمة، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط2، 2009.

فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284–1453م) المكتبة العلمية الحديثة، المنصورة، 2000م.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت.

محمد الطاهر الجراري (الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011.

محمد الطاهر الجراري (موقف القبائل الليبية من الحكم الروماني خلال القرن الثالث الميلادي) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998.

محمد علي عبد الرحمن أبوشحمة، المزارع المحصنة في المنطقة شبه الصحراوية بإقليم المدن الثلاث الليبية خلال العصر الروماني، منشورات جامعة مصراتة، مصراتة، ط1، 2019.

محمد علي عيسى (الاستعمار الغربي في شكله الاقتصادي والثقافي المشهد المتكرر منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، ج1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011.

محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، ج8، القسم الأول، دار الكتب، بيروت، 1972.

مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966.

المراجع المعربة:

أندريه لاروند، برقة في العصر الهليسنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002.

ب.هـ. ورمنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط1، 1994.

ر.ج. جود تشايلد، دراسات ليبية، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار – أحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999.

سونسيوس القورينائي، تاريخ الفلسفة في ليبيا، ت. عبد الرحمن بدوي، ج2، دار صادر، بيروت، 1971.

شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ت. محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، 1978.

ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ت. محمد الطاهر الجراري – محمد الهادي حيدر، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009.

المراجع الأجنبية:

Jones. A. H. M (Frontier Defence in Byzantine Libya) L.H Historical Conference 16-23 March 1968.

رسائل الماجستير:

موسى معمر زايد الريحاني، تاريخ النظم الدفاعية في ولايات شمال أفريقيا الرومانية 192-430م، جامعة المرقب، 2005م.